عصور القش والطائر العملاق

دَعْ أرضي ومَهْد أحلامي عن الوعي لا يغيب؛ فالشراب أحتسيه حين يُؤرق الهَوى عيوني،وألسنة التَحَرُّقِ بسَفَافِيد الشَوق تَسْتبدُّ بالظِلال؛تسترشد مساعيها بالهداية وأطواق الهلال الحزين.

ونافذتي للمُتْعَب المُثْخَن بالجِرَاح طاقة بَوح تُهَدهِد حمائم التمني،وأسراب التطاير ترمق الخذلان للمآب المستجير بأروقة الليل البائس وتَخَلِّي الغُيوم بِبَهو النهار الكسول،وما يستتبع ذلك من لملمة أذيال الوقت المأزوم،وغضب الغيوم الغائر ديمه كجريح ينتوي الاعتصام بجنبات الألم؛يربأ بنفسه عن التداوي بفتات الإذكاء لموات حياة كانت يوماً مُفَعَلَّة.

أين الحروف المُسْعِفَات وحقائب الاغتراب أَفْرَغَتْ أشجانها؟!

أيـن الواثـق مـن شـريان الوصـال وبعـض الـدماء قَتلَهـا الحَيْفُ المُسْتَشْرِي بهشائم تذروها التفاصيل العرجاء خطوة أحسـبها هدهـدة لمُتلْفـي وأخـرى تنحـو بـالطريق حيـث اللاوجود.

اغتالـتْ سـخافات الغـل بسـماتي وامـتلأتْ الربـوع بالضَن؛فشـاع بالمـآقي التَصَـحُّر وأعنـاق التَشَـبُّث مُشْـرَئِّبة تتلفحها الثقة وقَسَم لـو تفقهون عظيم،أتلوك آيـة بصـلاة أحزاني ترتيلة في كف أماني أُضَمِّدُ ما تَكَسَّر من أَضْلُع قصيدي وأرأب صَدْعَ لحني المنشود.

فلتـأتوا بمِجسَـات العـالم ذاك نبضـي علـى رُكَـام مـن احتراق؛يناشـدكم قياسـات بحجـم الجـوى الكـامن بصـدر اللهفة.

سلوا مكسور البلور للنافذة كم زفرة بإطلالة مجنونة شاءت وشـاء لها القدر،مازال عِطْرُك عالقاً بشَقْفَة زجـاج مُتَمردَة تَشْجب شاهق الطين وتندب حظ الإنسان.

أخطـأتم حـين جعلـتم قلبـي سـاحة لخُـذْلانكم،فاتكم اللافتـة المُعَلَّقة محظور تلك أرض مِلْك الجَنْة.

وكأني بقميص الوصايا مُرْسَل طيه؛يا يعقوب قبلك أبينا دَحَضَ حُجَة النُمْروذ لاتثريب عليك، والدعاء مطية اللائذين بالبهو الكبير.

على عتبات مكترثاتهم يُعَوَّلُ التأويل وينتعش اليقين بنفحات تُهَدهِد الكَف القابض على جمرة الاغتراب وطيور الهدأة تنوح المُنْصَرم حيث الريح المباغتة وأدراج الفائت الحزين.

وأنا بالحجرة الأخيرة من ضفاف قلبي المتمني السفر إلى المحاق الرابض عصور القش والطائر العملاق ذا الجناحين الكبيرين؛ يقطع الفيافي ويجوب مرابد الاغتراب بوازع دموع الزيزفون حيث الأوراق المتساقطة على أرض الأمنية يسوسها إيمانها بأُبوة الخريف للفصول الأربعة المُؤَثل تتابعات ذات قزحية يرسمها القوس واللون لها بمُعَمَّد العُنْفوان الزاكي؛يحذر الليل والتفريط بنجمات الهدأة المُهْداة والسكينة المُسْجاة،يشد على يد النهار المَارِق بياضه وذُبول الشمس الحزينة.

ترتيلـة تراكبيـة تمـيط اللثـام عـن العـالم المُزَنَّـر خاصـرته بفِخَـاخ التـآمر وانصـراف اللُّقَطَـاء إلـى الحـين الفارغـة مـن هوية كانت هنا بانقطاع؛لاعزاء على لوحة أذلتها الخارطة المأفونة باستخفاف حاديها ونُصُب على عروش كالخُشب المُسَنَّدة،لاتثريب علـيكم اليـوم والفجـر المُنْهَـك مـازال فـي المَخَاض؛تترنمون بوجع زمكاني بأرض غير مُمَهَدة،بفصل دروب مُرْتَاديهـا سـراديب مـن سـحيق التوعـد،رِفْقاً بضـلوع المُتَاح فقد أعياه الثلج بالذوائب للعرابيد السَكَارى.

من ذاك مُطَيِّر عصافيرَ السؤال؟ألمْ يعهد إليك التأويل بمجـرد الحصول؛الإفصـاح فـي تبيـان والإمهـال فـي تـدقيق؟!وها ذا البريـد اليقينـي يصـل بعلـم الوثـوب وأدراج القادم الفصيح.

إليك عن المُتاح بقداديس الرُؤى وحوانيت التطاير؛بضاعته رثـة ووعـوده مُهَلهلـة تتـوق معهـا الرغبـة وانعتـاق الـذات يمَوسِق شراع فضولها ثقب السفينة بالمعلقة المنهوية على أستار التوقيت الحائر.

إلـي بمُحْـصٍ للزفـرات المسـكونة بمُـؤَبْلَس الشَـطَط المُبَـدِّد لمنوال الشمس يحمل الصمت بأُذُن السكينة.

لـو أنـك تعلـم مـآل الصبر؛صـهيل نخـوة وبقايـا شـرود للفارس محفورة على الجدران.

لـو تَجَرعَـتَّ البَعْثـرة وشـراذم اللقطـاء يـأتون كـالقُرَادة علـى العيدان.

لـو تَنبَهـتَّ لتَخرُّصَـات النُبـوءة مـا حَجَبـتْ ودائـع الرمـال أسرارها،و ما صُلِبتْ أوجاعي بصحائف النُكْرَان، لو تركت الجفن يسرد حكاياه لاسترسل المداد يمخره عُبَاب السَبْر بأروقة الطغيان،لو تيقنت فيك المساعي ما خاب لنوالك رجاء أوغلقت بنوبات ارتحالك أبواب الميدان،لو أنك تجيد العزف علـى قيثـار أوتارهـا وهـج مـا فَرَّ الـوتر الآني،لـو ماأخطأتك الأماني ما كنت بكرسي الإدلاء ونَزْف دموع الوجد ماثلا بفوهة البركان.

تجرد منك إلـيَّ فأنـا القاطن لقائك الحـارس مـزارع تُولِيب النبض بخفقة تدق أجراس النبل.

وأنا على حافة البحيرة اللائذة بخيوط الشمس المخلصة استباح مُخَيلتي غدق الماضي؛يحمل صورتها بدوائر الزمن الفائت وصوت قصتنا يناشد التوقيت،والمَشْهد الكبير بوثوب ذاكرة لا يأتيها العَوار من بين يديها ولا من خلفها؛تحصي الدقات عددا وحتمية الفقد مددا،معكِ ياأنا.

قِصَتُنَا لا واقع أَذَابَ بِنْيَتها ولا تفاصيل أَوصَدتْ قلبي والجدار منه ممهور برَسْمِك الدُّرِي عِصْمة وحياة.